

لكم تاريخكم ولنا تاريخ.. ما لا يروى عن عهد الملك السعودي عبدالله. و «سادية» القانون، كأداة للقمع والاستعلاء تنتهك سيادته. وختان النساء مدان ومستنكر.. ولكنه لا يتراجع.

كيف تدفع السجون المعتقلين الى التحول للمتشددين: التجربة المصرية المتكررة. ودلالات التغيير في أناشيد حركة حماس عبر الحقبات. وفي الزاوية الحمراء: تعليمات بالجنون.

في المغرب، «الغريباء» يقليبون نمط الإنتاج الفلاحي. وفي «بألف كلمة»، متضامنون مع فلسطين من العالم: سيرة أناس عاديين.

## «ما قبل» انتفاضة دوار اللؤلؤة في البحرين

في أوج التفاوض الذي اجتاحت المنطقة العربية بعد هروب بن علي واستقالة مبارك، برزت في البحرين دعوة لتنظيم «يوم غضب وطني» في 14 شباط /فبراير 2011. لاختيار اليوم علاقة بالاحتفالات الرسمية بتحول البحرين من إمارة إلى مملكة. وإعلان دستورها الملكي في ذلك اليوم نفسه قبل تسع سنوات، أي في العام 2002. لم تكن الجهة الداعية، «حركة شباب 14 فبراير»، أو قياداتها معروفة سابقاً. إلا أن الدعوة أثارت نقاشاً واسعاً وحاداً. برز بعضه في مواقع التواصل الاجتماعي طيلة أكثر من أربعة أسابيع سبقت اليوم المحدد. فعلى تلك المواقع المفتوحة ناقش مشاركون بأسماء مستعارة، مثلما فعل أقرانهم في مصر قبل أسابيع، مستلزمات نجاح الحراك وشعاراته وأماكنه في تلك النقاشات جاء ذكر دوار اللؤلؤة من ضمن أماكن أخرى محتملة لإطلاق المسيرات أو ختامها.

لم تثر المناقشات والتحضيرات لتنظيم «يوم غضب وطني» في ذلك اليوم قلقاً لدى الجهات الحكومية أو بين تنظيمات المعارضة المعترف بها (أي المسجلة حسب القانون لدى وزارة الشؤون الاجتماعية). كان لكل من الطرفين، الحكومي والمعارض المعترف به، أسبابه لتوقع فشل تلك الدعوة، أو وفي أحسن الأحوال، أن تنحصر نتائجها في فعاليات احتجاجية صغيرة ومتفرقة تنتهي بانتهاء يومها. فما أكثر الفعاليات غير المرخص لها التي يقوم بها هذا الطرف أو ذلك لتحريك الشارع طيلة السنوات التسع الماضية، وما أسهل قمعها أو احتواؤها. اتضح في ما بعد خطأ تلك الحسابات لأنها لم تأخذ بعين الاعتبار مدى تأثير الأمتعة التي ضربها الشباب التونسي والمصري في إلهام نظرائهم في البحرين.. علاوة على استخفاف الطرفين بقدرات المعارضة غير المعترف بها على إدامة حراك احتجاجي.

«البحرين ليست تونس أو مصر»

لخصت هذه العبارة الموقف الرسمي من الاستعدادات ليوم الغضب الوطني. إلا إنها لم تكن هروباً بلاغياً من مواجهة الواقع، بل كانت تعبير عن قناعة راسخة لدى العائلة الحاكمة في البحرين بأنها تمتلك أدوات لم يكن يمتلكها أي من علي أو مبارك للسيطرة على الوضع وحماية استقراره. فلا يتوقع أحد أن تنقسم العائلة الحاكمة على نفسها رغم ما تنتشره بين الفئمة والأخرى مقالات «متابعين» عن تنافس بين واجتها. كما لا يمكن التشكيك في ثبات ولاء المؤسسات العسكرية والأمنية التي تتشكل قياداتها ومراتبها العليا من أبناء العائلة الحاكمة نفسها ومن أبناء عدد محدود من «القبائل العربية الأصيلة». بينما يتم التجنيد للمراتب الدنيا من أبناء العوائل الستية الفقيرة بشكل أساسي أو من مجندين من باكستان واليمن وسوريا والأردن، الذين لا يربطهم بالبحرين إلا الولاء لصاحب علمهم. ولقد أثبتت المؤسسات غير العقود الأزمية التالية لإستقلال البحرين قدرتها على استخدام العنف إلى أبعد الحدود لقمع تحركات المعارضة.

كانت عبارة «البحرين ليست تونس أو مصر» تشير أيضاً إلى عامل آخر. فالبلاد خرجت قبل أقل من أربعة أشهر (تشرين الأول/أكتوبر 2010) من وطيس انتخابات برلمانية وبلدية شاركت فيها جميع تنظيمات المعارضة المعترف بها. وأسفرت تلك الانتخابات عن فوز 18 من مرشحي جمعية الوفاق مما كرس قوتها السياسية كمحاور للسلطة باعتبارها أكبر كتلة ثيابية. علاوة على كونها أقوى تنظيمات المعارضة في الشارع. وعبرت عن ذلك البرقيات المتبادلة بين رئيس جمعية الوفاق ورئيس الوزراء للتهنئة بنجاح تلك الانتخابات وبـ «المشاركة الشعبية الواسعة التي جسدت روح الديمقراطية والشفافية». وأكدت اللحمة الوطنية في ظل المشروع الاصلاحى الذي أرسى قواعد جلاله الملك المفدى بحكمة وأقدار»، بحسب ما أوردت الصحف آنذاك.

أسهمت أجواء الابتهاج والتفاؤل التي سادت أوساط قيادات المعارضة (المعترف بها) بإلحاح الانتخابي في إقناع صانعي القرار بأنها لن تقبل الانجرار وراء الدعوة لتنظيم يوم غضب في يوم يحتفل البلاد رسمياً بذكرى إعلانها «مملكة دستورية». لهذا أيضاً كانت منصّت النظام الإعلامية طيلة تلك الفترة تكرر تأكيد قدراته السياسية والأمنية لمواجهة محاولات زعزعة الاستقرار والتفاهات السياسية القائمة، وإحباطها. ومع



محمد الهدي - البحرين

ذلك، اتخذ الملك عدداً من الإجراءات الاستباقية. فمن جهة أعلن الديوان الملكي عن عدد من «المكرّمات»، بما فيها منحة مالية قدرها ألف دينار لكل عائلة بحرينية (بكلفة إجمالية تصل إلى ما يعادل 385 مليون دولار). وتضمنت المكرّمات الإعلان عن وضع خطط لبناء مدينتين جديدتين لمواجهة الأزمة السكنية وخاصة بين الشباب. ومن جهة أخرى، تم الإعلان عن عدد من الفعاليات الاحتفالية بمناسبة 14 فبراير، يوم إعلان الدستور وإعلان تحول البحرين من إمارة إلى مملكة.. ومن بين تلك الفعاليات مهرجانات رياضية ومسيرات وحفلات غنائية.

معارضة أخرى تحت الرماد

في عام 2005، برز إلى العلن انقسام المعارضة حول الموقف من الدستور الذي صدر في 2002 بمرسوم ملكي، وحول الموقف من سلسلة المراسيم والقوانين التالية المقيدة للحريات. بما فيها «قانون الجمعيات لعام 2005»، الذي وضع النشاط السياسي بمختلف أشكاله تحت إشراف كل من وزارتي العدل والشؤون الاجتماعية. ونشأ جراء تباین المواقف

ولأنني كنت أخاف من المدير المختدب وأخشى تقاريره، استعبدت من الرواية شخصية خادية الماركسية، وزهرة حبيبة الراوي وشخصيات أخرى، واخترت مقطعين فقط منها، وهما وصف المعاجرين على متن السفينة، وهواجس الراوي ميلود وهو يبوح ناشداً خلاصه وخلاصي وخلصاً جميعاً «أنا كائن لا شرقي ولا غربي، فررت من الشرق فرفضني الغرب فمكثت معلقاً في الفراغ وخسرت الاثنين معاً، الشرق والغرب». كانت زهرة تصرخ بوجه الراوي «اعلم أنّ خلاصك ليس مرهوناً بالإمكنة وإنما بك أنت، أنت فقط». وبصراحة، تغايبت عن الفهم، رغم أنّ خلاصي مرهون بالإمكنة، فخذلت طلبتي. اليوم لا مدرسة ولا طلبة، لا أعرف لماذا لم أبصر هذه الهوموم والمشكلات في حلب، ولماذا تحاشيت إلقاء الأضواء عليها. رغم أنّ المدينة حصدت من التدمير بما أقسى ذاكرتها المتقدة وضيّع مفاتيح أبوابها القديمة، وشرّد زهرة أولادها وشبابها في مغامرات متعبة.

كنت أكذب حالي، بأنها حلب أم المالبي والرتب، وأصرخ بعنترية «ولو... أنتم بحلب»، وزاد من الكذب عندي أن ليس في حلب بحر ولا سفينة ولا مضيق جبل طارق، ولا أكياس نايلون لحمل أمتعتنا والهروب. كل يوم، يخبرني إخواني وأصدقائي وزملائي في اتصالاتهم ورسائلهم أنّ حلب صامدة ولا تقلق على المسافرين العاربيين على متن قارب خشبي صغير من مرقا تركي، أو على متن سيارة صغيرة أو باص، سواء عن طريق خناصر البري صوب الحدود اللبنانية، أو عن طريق معبر السلامة البري أيضاً صوب الحدود التركية.

واليوم عندما أسترجع «وداعاً روزالي» أحن لطنجة وحلب معاً، أشعر بمرارة ما يحدث، وأخشى أن يغرقني مركب روزالي في عمق البحر. وقبل كل شيء لا أعرف أين نسبت إيامي وأقلامي وحقيقتي الصغيرة، في أي صف وفي أي مدرسة.

موسى بيطار

كاتب من سوريا

## مصر مريضة

عند مقتل الشابة سندس رضا (17 عاماً) برصاص في الرأس والصدر أثناء هجوم الشرطة على تظاهرة للإخوان المسلمين في الإسكندرية يوم 23 كانون الثاني، قلنا إن الحادث ربما وقع صدفة. وحين قتلت شيما الصباغ بالطريقة نفسها بعد ذلك بيوم واحد، في قلب القاهرة، وفي مسيرة بالغة السلمية دعت لها جهة يسارية، ذهب افتراض الصدفة وحل حله التقصد. السلطة تريد أن تقول: نقلت بلا وازع، وبلا وجود استفزاز مقابل. نقتل لنقول ممنوع النفس. هذه لا تشبه مصر حتى في أحلك أيام القمع التي قد تكون مرت عليها في الماضي.

... وحين وقعت مجزرة إستاد الدفاع الجوي منذ أيام، مودية بحياة 22 إنساناً، سقطوا بالرصاص والإختناق بقنابل الغاز، والدهس بسبب التدافع، كان يقدّم إلينا مسرح جريمة مجهز سلفاً: حشّر ألوف الناس في ممر ضيق بلا مبرر، وإغلاق منافذ دخلاً وخروجاً حتى بعد بدء القتل، واهانتهم والتكئيل بهم... لماذا؟

هل تفقد الشرطة رباطة جأشها إذا ما أشعل مشجع لزامالك «شمروخا» (عصا مشتعلة)؟ هذا بذاته مؤشر على استفزازها ضد «عدو» وتحفزها للقتل. ثم جيء بقوات الأمن المركزي سيئة الصيت، تلك التي أنشأت في زمن السادات عقب انتفاضة

## طنجة وحلب

عندما كنت أدرّس طلبتي بحلب رواية «وداعاً روزالي» للكاتب التونسي حسونة المصباحي، لم أكن أدرك أنّ بعض المقاطع التي اخترتها سوف تقودني لمصير ذاته، بكل خيبات شخصياتها. ويكّل فطرات العرق التي كانت تنصبب تعبا وضجرا وانكسارا من أجساد المهاجرين، وهم على متن السفينة، يسرحون تحت شمس مضيق جبل طارق، ويتوقفون لبعض إجازة صيفية سعيدة في طنجة، بعيدا بعض الوقت عن أوروبا وهموم الغربة وقساوة «البرد، العتمة الدائمة، السكن في أحياء القصدير، وفي الأقبية المظلمة وغرف السلوح الضيقة، والعمل في أفنى الظروف والإهانات اليومية».

طنجة وما أدراك ما طنجة، روزالي الحبيبة، بكل مساجدها البعيدة وأسوارها الداعية بالأبراج الدفاعية وأبوابها التي لها ألف مفتاح ومفتاح، أما مدينتي حلب، فكانت تشابه مع طنجة في هذه الطقوس الروحانية المسكونة بصلوات الجوامع ومآذنها وعقب الأبواب القديمة ومفاتيحها.

لم يكن اختياري لنص حسونة المصباحي لأنه ترك تونس أيام حكم زين العابدين بن علي، وأقام بمدينة ميونخ وأصدر روايات عديدة هاربا من بطش الديكتاتور وسكاكينه التي تقطع الأرزاق قبل الأتقان، ولا لشدة إعجابي بالسيجار الفاخر الذي كان يدخنه، منتشيا بإزاحة بورقيبة، ولا لأن مدينتي كانت علاقتها ممتازة مع الغرب، على الأقل منذ تاريخ تأسيس أول قنصلية في خان الوزير بالمدينة القديمة سنة 1548، قبل تأسيس أول قنصلية بطنجة سنة 1788. بل لسبب واحد فقط هو أنني تعاطفت مع شخصيات الرواية، وخاصة مشاهد الرحلة الصيفية إلى طنجة، وهذه السفينة التي تحمل المعاجرين المكتظين بأعداد كبيرة، من أطفال ومراسفات ونساء وبدينات وشيوخ متعبين، ورجال يدخنون بشroud، حاليين يقضء إجازة سعيدة في ربوع الوطن الذي طردهم شرّ طردة، طردهم بالأمس ويطردنا اليوم، نحن السبطاء والفقراء، الذي يوما بعد

لهذا الشعار بالإضافة إلى شعارات أخرى، من قبيل «المبادرات الميدانية» و«تجاوز حاجز الخوف» أهميتها لفهم قيام التحالف الظرفي بين شباب «حركة شباب 14 فبراير» وبين مخضرمي التنظيمات السياسية غير

المعترف بها. رُفِع شعار «لا مركزية القيادة» من قِبَل، ولكنه جوبه دائماً بمداخلات عن الوحدة الوطنية وعدم تشتت الجهود. ناهيك عن شبيحة غياب الغطاء الشرعي التي تخيف الشطاء المتدينين. اهتم الطرفان في ذلك التحالف الظرفي بترويج شعاري «لامركزية القيادة» و «المبادرات الميدانية»، بحجج كثيرة منها ضمان استمرار الحراك حتى بعد حملة اعتقالات كاسحة متوفاة. ومع ذلك لم يغب عن أحد أن رواج الشعاريين سهّل على الطرفين الالتفاف على التفاهات السياسية التي أدت إلى قبول الجمعيات المعارضة المعترف بها بالمشاركة في العملية السياسية عبر البرلمان رغم ماأخذها على دستور 2002 وما تولّد عنه. ولعل في استمرار رواج الشعاريين ما يفسّر بقاء انتفاضة دوار اللؤلؤة ذات وهج يومي حتى بعد أربع سنوات على دخول القوات السعودية والإماراتية لقمعها بعد ذلك بشهر ونيف، أي في آذار /مارس 2011.

عبد الهادي خلف

أستاذ علم الاجتماع السياسي في جامعة لوند، السويد، من البحرين

# ملف

## لكم تاريخكم ولنا تاريخ

# ما لا يروى عن عهد الملك عبدالله

ليس بالشئ الجديد أن تُروّر حقائق حقبة معينة من التاريخ، ولكن ما يعد استخفافاً بقول البشر هو محاولة تزوير حقائق لم نزل نعيشها اليوم. تجلت الوقاحة بعيد رحل الملك السعودي حين هجم مثقفو البلاط على وسائل الإعلام وأعمدة الصحف يملأونها بالرائي، ولهم الحق في أن يحبوا ويستدحوا من يريدون، لكنه لا يحقّ لهم أبداً تصوير مجتمع يكمله على انه متخلف ظلامي يغطس للدماء، لولا انه كان تحت قيادة مستنيرة.

تناقصت صحف سعودية وعربية وعالية في سرد إنجازات تمت في عهد الملك الراحل، وعلى غير العادة، لم تقتصر الإنجازات التي ذُكرت على البناء والتشييد أو كل ما هو ملموس، بل تخطت ذلك إلى إنجازات على الصعيد «النفسي» وعلى مستوى «الوعي والوجدان وكيנוية الإنسان». وفي ما يلي البعض اليسير مما خلد في الذاكرة، وبعض ما تناقله الناس بعد موت الملك، ونسبه مثقفو البلاط.

تميز عصر الملك عبدالله بأنه شهد اندلاع ثوره عربية في 2011 ما زالت أمواجها بين مد وجزر في مناطق مختلفة بينما تم إسكات المواطنين في الداخل عبر صرف راتبين لكل موظف وزيادة في عدد النتج الدراسية وإنشاء هيئه لمكافحة الفساد لم تقم بأي إنجاز يذكُر. واستقبلت الملكة الرئيس التونسي العرب بعدما رفضه العالم كله، وهو ما

زال مائكأ على صدورنا إلى الآن في جدة. أما في البحرين، فقد دخلت قواتنا المسلحة للمشاركة بقمع الثوار في شوارع المنامة، وشاكرت الملكة دول الخليج في صنع مخرج للرئيس اليمني المخلوع دون أي حساب لثلاثة عقود تسلط فيها على أرزاق اليمنيين وبلادهم. وفي مصر، ذهبت ملياراتنا لدعم قائد انقلب على ثوره يناير وزج بالعديد من شبابها في السجون، وغابت تلك المليارات عن اللاجئين السوريين وهم يموتون من شدة البرد في شتاتهم الثالث على التوالي.

قدم الملك الراحل مبادرة سلام في بيروت يعطي فيها إسرائيل الاعتراف بكيانها ويعرض عليها السلام وتطبيع العلاقات مقابل الانسحاب من الأراضي المحتلة عام 1967. فُدمت المبادرة بنجاحل تام لرأي الجمهور الذي من الواضح جدا انه لا يؤمن بحق الكيان الإسرائيلي في الوجود أصلا. وشهد عهد الملك اول لقاء علني بين مسؤول سعودي هو رئيس الاستخبارات السابق تركي الفيصل ونظيره الإسرائيلي، ومؤخرا فعلاها وزير سعودي سابق ونهب للقسس ودعا المسلمين دون أي محاكمة.

وما مر من دون محاكمات ايضا هو الزج بما قدره 30 ألفا في السجون السعودية ما بين معتقل راي وحقوقى وناشط سياسي. القليل منهم فقط حالفه الحظ ووجهت له ندم مثل «زرعة الطمانينة العامة»، وكانت

كلفة العبث بالطمأنينة تلك أحمكأ بالسجن لعشر سنوات وأكثر. وفي العدوان الإسرائيلي على لبنان عام 2006، وصفت الملكة المقاومة بـ«الغامرة»، وصرح مفتيها وقتها بعدم جواز حتى الدعاء للمقاومين. أما في عدوان غزة الأخير، فظهرت جوقة من الإعلاميين السعوديين، معظمهم يعمل في صحف رسمية، انحازوا علنا لإسرائيل وهاجموا المقاومة، بل طالب بعضهم مسؤولا إسرائيليا بقتل الفلسطينيين.

أدخل الملك المرأة السعودية الى مجلس الشورى، وهذه خطوة كبيرة لا يمكن إنكار أهميتها، ولكنها ما زالت محرومة من سائر حقوقها. فبدا هذا الإصلاح ديكورا، أنشأ جامعة عملاقة وبمصاحف عالية للعلوم والتكنولوجيا، ولكن وضع التعليم في سائر الجامعات (والدارس) التي يرئادها «الناس العاديين»، أي الأثرية الساحقة من السعوديين ما زال مرزيا.

**ديكور جديد؟**

لم يبدأ الفساد في عهد الملك عبدالله، ولكنه ظهر ظهورا غير مسبوq وطال أزواج المواطنين مباشرة. وبات ما يعرف بكارثة «سيول جدة» غير شاهد على ذلك. عندما جرفت الأظار بيوت المواطنين وأرواحهم معا، لثلاث سنوات متتالية، تنقشع لنا الغبار عن حجم الفساد المتركم لسنوات، والشوائية في التخطيط وسوء البنى التحتية. كان عقاب التسبب في الكارثة

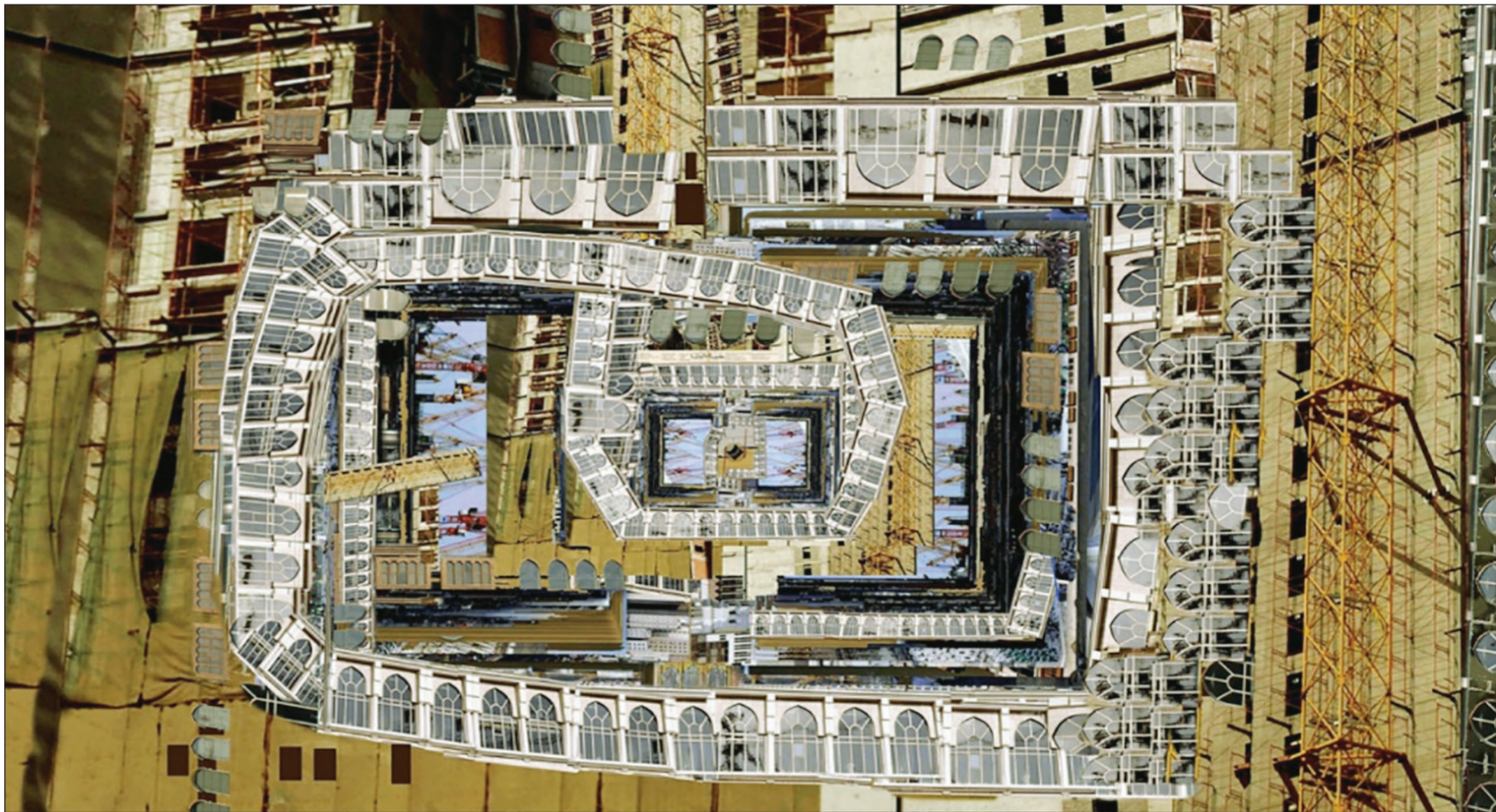
هو حبس خمسة متهمين ما مجموعه سبعة عشر عاماً. أما أمين أمانة جدة بمطل الفضيحة، فتمت ترقبته لرتبة وزير.

وفي بداية عام 2006، انهار سوق الأسهم السعودي بعد ارتفاع خيالي لمؤشره على مدى ثلاث سنوات سابقة. خسر السعوديون أكثر من نصف تریلون دولار جراء الانهيار. تبين في ما بعد أن الادارة السيئة للوزارات والهيئات الحكومية المعنية، فتحت المجال لحفنة من أصحاب رؤوس الأموال للتلاعب بالسوق عن طريق عملية نصب منمظمة. أدى ذلك التلاعب إلى مضاعفة ثروات عدد قليل من التجار على حساب الطبقة الوسطى التي ما زالت تدفع ثمن الانهيار إلى اليوم. مضى على الانهيار سبعة اعوام، ولم يحاسب احد.

لا شك بأن تصريحات الملك عبدالله حين تولى مقاليد الحكم قوبلت بترحيب كبير، وخاصة وعوده بإصلاح النظام السياسي وإدخال تغيير في بنية الاقتصاد الوطني لكن الرجل رجل دون أن يغير شيئا، بل لتلقنا كارث من يد رجل إلى آخر. وكانت أقسى حدود مشاركتنا في ذلك انه قيل لنا في صبح يوم جمعة، مات الملك، عاش الملك.

**علي القحطاني**

كاتب من السعودية



شادية عالم – السعودية

# في أروقة القانون.. بين السيادة والسادية

يحكي ماندبلا في سيرته الذاتية، «مسيرة طويلة نحو الحرية»، عن الإجراءات التي اتخذتها الحكومة لمحاربته أثناء مسيرته النضالية نحو تحرير السود في جنوب أفريقيا، قائلاً «... أصدرت الحكومة قانون الأُمن العام الذي يخول السلطة إعلان القانون العسكري أو حالة الطوارئ واحتجاز الأفراد دون محاكمة، وقانوناً آخر يجيز العقوبة الجسدية للمتحدين.. وطبقاً لقانون حظر الشيوعية كان من الممكن اتعام أي فرد يعارض الحكومة بالشيوعية حتى دون أن يكون عضواً في الحزب!».

هكذا، على مستوى العالم، تسعى النظم نحو «سادية القانون» التي تجعل منه أداة للقمع والاستعلاء على المواطنين. بينما، ميدئياً، ترتكز فكرة «سيادة القانون» على ضرورة «أن يكون سيداً على الجميع، لا يفرق بين الحكام والمحكومين. وفي تعريفها لا تشير هيئة الأمم المتحدة إلى «أنه مبدأ للحكم يكون فيه جميع الأشخاص والؤسسات والكيانات، بما في ذلك الدولة ذاتها، مسؤولين أمام قوانين صادرة علناً، وتطبق على الجميع بالتساوي ويحكم في إطارها إلى قضاء مستقل، وتتفق مع القواعد والمعايير الدولية لحقوق الإنسان». كذلك يتضمن اتخاذ التدابير لكفالة الالتزام بمبادئ سيادة القانون، والمساواة والسيؤولية أمامه والعدل في تطبيقه والفتصل بين السلطات، والمشاركة في صنع القرار، واليقين القانوني وتجنب التعسف، والشفافية الإجرائية والقانونية.»

**تجاهل القانون**

لا يلُمح القانون في مصر، بقدر ما تعاین وتُعاش وخالفته بصفة يومية وعلى مدار الساعة. فبع أول خطوة في الطريق العام تصطدم بمخالفة قوانين المرور التي تُحيل حركة الطررق جحماً، بينما تشهد وسائل النقل معارك حادة بين السائق والركاب بغية الاتفاق على قيمة التعريفية (التي حددها القانون في

ملصق على واجهة كل عربة)؛ وبمجرد أن تطأ قدمك إحدى المؤسسات الحكومية لقضاء مصلحة، فإن عدم انتهاء الموظفين من تناول الإفطار قد يعطل مصالحتك، فيما يتباين وقت الإفطار من موظف لآخر (بما يخالف القانون). فإن انتهى منه الأول قد يعطلك ابتداء الثاني، بل إن غياب الموظف المسؤول قد يدفعك للتردد على المكان يوما تلو الآخر حتى عودة الغائب، بغض النظر أن القانون يشترط وجود قائم يعمل صاحب الإجازة، وإلا يُمَتَّع القيام بها! كذلك فإن خرق ساعات العمل الرسمية حضوراً وانصرافاً أمراً عادياً. وإن أردت الإجازة فالارشوة والواسطة باب بطرقة عموم المصريين ويشهدون بغفاليته. كل هذا وأكثر لا يصل إليه القانون ولا يحجمه، استجداءً لحل.. قد يصاب التفحص بالدوار: ما الذي أصاب الفطرة المصرية وشَوْهها إلى هذا الحد؟ كيف لهؤلاء أن يَحْكُموا؟ هل يعين شرطي على رأس كل فرد؟ وما الجدوى.. بالرأشوة سيفعل من يشاء ما يريد!

**بين الجهل والتجهيل**

العديد من الأسباب المعقدة والمتشابكة تفت وراء حالة التجاهل المجتمعي المعتادة للقانون في مصر. من ناحية تُعَم المُشهد ضبابية الجهل بالقانون وبالسبل المتاحة لاسترداد الحق، مع ترحل دور القانون في حسم الصراعات بسبب حالة البيروقراطية والرتابة الشديدة التي تصم المحاكمات القضائية في مصر، بما نفر العاقل من اللجوء إلى القانون والاحتكام إلى القضاء، حيث «السنَّة» هي وحدة حساب الزمن المستغرق للبت في أي قضية، حتى تلك القضايا الروتينية مثل «توثيق العقود»، فإنه يصعب الحديث عن إنجازها بمعدل الأيام أو الشهور؛ ذلك علاوة على ارتفاع التكلفة الاقتصادية لتحكيم القانون (من أتعاب الحماية والرِسوم الإدارية.. إلخ).

من جهة أخرى، يعتبر تجهيل الأفراد بحقوقهم أكثر السياسات الإدارية الشائعة في مصر لتسيير الأعمال. في ما يخص قوانين العمل، على سبيل المثال،

جرت العادة على طي النشرات التي تنص على حقوق العمال في الأذراج، بينما يستدعي العمال للتوقيع بالعلم على كل قانون يخص واجباتهم في العمل. لذلك فإن المستجد في أي عمل يمثل مرعباً خصباً للاستغلال حتى يظُن ويعي حقوقه؛ وهكذا، بعد انعدام التكافؤ بين الحقوق والواجبات المبرر الأوجه الذي يتكأ عليه المواطن المصري للمخالفة، خصوصاً مع انحدار الدخل وارتفاع معدلات التضخم، والذريعة الشائعة لإخراس الوازع الأخلاقي المانع ذلك هي: «على قد فلوسهم!».

بإضافة لما سبق انحياز القانون وانعدام المساواة أمامه، بما يكرس الشعور بالظلم ويسهل التلاعب به والإلتفاف عليه، والمساواة المقصودة تشتمل شقين، الأول: يخص المساواة بين النظام الحاكم والحكوميين أمام سلطة القانون، وهو ما يُهدر بصفة شبه دائمة، خاصة في الحقوق المالية؛ فحقوق الدولة أئبية أما حقوق الأفراد فلا حسب على تأجيلها، والشق الثاني يخص المساواة بين الأفراد، وهو ما يهدره استفحال الترشاشي والواسطة في مصر والتي تنتزع فكرة العدالة من جذورها، ومشهد ذلك الذي يخالف القانون بأريحية تامة مُشهد متكرر، والتفسير يتداوله العوام والبسطاء: «أنه مسنون!» وكل «سنونُد» يفعل ما يحلو له، أما «الغلبة» فليس لهم إلا القانون. تبدأ مخالفة القانون كرد فعل لحظي ثم تصير عادة بالتركار، وما كان على سبيل الاستثناء يصبح قاعدة عامة تجتث عن استثناء جديد. والسبب في إيجاز «أنه إذا وقف القانون عائقاً أمام الفقراء في تحسين أوضاعهم أو كان عقبة في سبيلهم نحو الكرامة والأمن، يتم نيد القانون كموسسة شرعية، أما إذا تم قبول القانون سبيلاً للحماية وتكافؤ الفرص مع ضمان عدالة العملية القانونية وحجابه، حينئذ سيكون القانون موقراً ومحترماً باعتباره أساس العدالة»، حسبما ورد في «دليل التمكين القانوني للفقراء» الصادر في طبعته الأولى (2013) عن المنظمة العربية لحقوق الإنسان.

**قصد الفساد!**

وفقاً للمصدر ذاته، فإن القانون في مصر يعايني مشكلات جمة، منها أن تشريع القوانين لا يتبع نهج السلامة المنوط به، والذي يحصر دور الدولة في تنفيذ أحكام قضاء مستقل يحكم للقوانين التي تشرعها مجالس نيابية منتخبة، على العكس من ذلك كثيراً ما يُمسّ التواب فيما تُشرَع القوانين بوجي من مقترحات السلطة التنفيذية، بينما يصدر بعضها بمراسيم رئاسية مع الغياب التام للمجالس التشريعية، بالإضافة إلى وجود التشريعات الاستثنائية التي لا تجبرها ضرورة، بينما تمثل الحثرة المفرطة في التشريعات العلة القانونية الأخطر، حيث تؤدي إلى تداخلها الذي يعسر الإلمام بها ويولد بها العديد من الغفرات، ذلك فضلاً عن تعدد المرجعيات القانونية حيث بعضها ديني (ومتعمد المذهب) والبعض الآخر وضي (بمعتقد المصادرا). علاوة على ما سبق، فإن بعض القوانين المحلية تخالف التشريعات الدولية، ولما كانت سيادة القانون سبيلاً لردء الفساد، فإن قصد الفساد وإرادته يحول دون تمكين القانون وسيادته. وحسب المصدر ذاته «أن هناك إرادة سياسية لحماية الفساد لا مكافحته، يظهر ذلك في الطابع الممتنع للفساد الذي تكشف بسقوط بعض الأنظمة العربية، كما يبدو جلياً في مظاهر الإغراق الذي يبادر به بعض الأنظمة العربية الغنية كوسيلة لصرف شعوبها عن تطلعاتها في التغيير وفي مبادراتها لفتح ملفات فساد مسكوت عنها».

رغم احتخاف الحلم، إلا أن أصداء المتأفات الثورية المطالبة بالعدالة الاجتماعية، ما زالت تشترد في الأذان دافعة نحو استسيان سبل الوصول. فالعرفة هي أولى الخطوات الساكنة في طريق استعادة الحلم وتمكينه ليصبح الحقيقية.

**بسمية فؤاد**

باحثة من مصر

# السفير العربي

80 في المئة من المبالغ التي ترسل من صوماليين في الولايات المتحدة الأميركية إلى بلادهم، هي عُرضة للخطر بعد قرار مصرف ميرتشانت بانكس وقف خدماته لشركات تحويل الأموال للصوماليين بسبب تشديد قواعد محاربة غسل الأموال وتمويل «الإرهاب». ويحوّل المغتربون سنوياً 1.3 مليار دولار، وهو ما يتجاوز قيمة المساعدات الأجنبية التي يتلقاها الصومال.

## مواقع / إصدارات



**بوابة الاشتراكي**

هو الموقع الالكتروني لحركة «اشتراكيون ثوريون». في تبويب «أخبار ومقالات» عدد من الكتابات المصنّفة بشكل جيد، يسهل على الزائر الوصول إلى المجال الذي يهّمه: في قسم «حياة سياسية»، تحليلات نقدية للوضع السياسي الراهن، ويضم مثلا مقالاً بعنوان «رسائل إلى الشباب التأثر» يؤكّد فيه كاتبه هيثم محمدين أنه «على مدار عشر سنوات من استهداف الجماعات المسلحة في التسعينيات لضباط الشرطة، لم نتجح في إضعاف جهاز الشرطة الذي كان يقتل ويطشّش بالجماهير، ولا هزّت شعرة من نظام مبارك. بينما كانت جمعة الغضب الجماهيري تمثّل الإنزال الذي ضرب نظام مبارك وكسر ذراع المعينة في ساعات». قسم «عمال وفلاحون» يتناول إضراب عمال التعبئة في مجموعة القباطية لإسمنت احتجاجاً على المكتوبة بالفصحى أو العامية لشعراء مصريين، كحازم خالد إبراهيم الذي كتب تعليقاً على الحكم الصادر مؤخراً بحق الناشط أحمد دومة: «يا بلد في الأصل تابعة ومركوبية/ والطاغي فيكي حرّ يا وليدة/ الآبية دائما ماشية مقlosure/ رميني الولا في السجن تآبيده»، وهناك قسم لن يرغب في الإطّرع على تجارب ثورية من العالم هو «خبرات ثورية» يستعرض مثلًا ثورات عام 1989 في أوروبا الشرقية. ولاققتصاد حصته فجدج في عتائنه «اقتصاد مبارك.. ياينكم برباعيم السيسيم»، الذي يخلص كاتبه محمد درويش إلى أنّ النظام الحالي ما زال منحازاً إلى رجال الأعمال كما كان الحال قبل ثورة 25 كانون الثاني.

وعلى الموقع يتوفر «تلفزيون الاشتراكي»، وهو يضمّ مقتطفات بصورة من الأدوات ومقاطع فيديو (قناة التلفزيون على يوتيوب تجد لها أكثر من ثلاثة آلاف متابع). تبويب «بيانات» يؤرشف وينقل الجديد كالبیان الذي صدر مؤخرًا بعنوان «القسام مش إرهاب». اقتحوا معبر رفح وأنهوا حصار غزة»، وهو يأتي ردًا على اعتبار محكمة الأمور المستعجلة المصرية حركة حماس منظمة إرهابية.

التبويب الأخير على الموقع («المكتبة»)، تحقيقي اشتراكي بامتياز، فهو يحوي أعدادا من جريدة «الاشتراكي» ومجلة «أوراق اشتراكية»، ومجموعة كتب من إصدار «مركز الدراسات الاشتراكية»، التابع للحركة وفيه وحدة للترجمة. نجد هنا عناوين من قبيل «كارل ماركس - النظرية والممارسة» و «الثورة المصرية في منتصف الطريق». وكذلك نشر الموقع مجموعة من الكتب متاحة للقراءة مباشرة، من بينها مثلًا «الأدب والثورة، لتروتسكي، و «الجتمع البدائي وانحلاله، لروزا لوكسمبورغ.

ينقل الموقع النشاطات التي يقمها هذا التنظيم، ومنها ندوات عديدة كان آخرها بعنوان «المرأة والثورة»، المرأة ثورة»، تحدثت فيها الناشطة ليلي سويف عن الدور الفاعل للمرأة المصرية في المجتمع وثورته، وأخرى بعنوان «الحرية للأطفال... الحرية للمستقبل»، تحدثت فيها أقرباء أطفال تحتجزهم السلطة الحالية. من الواضح أن الحركة التي تقف وراء الموقع ومركز الدراسات تولي النشر الالكتروني ومواقع التواصل الاجتماعي أهمية كبيرة. ويبقى القول إن هناك نسخة عالية للموقع يتم تحديثها بشكل دائم ويمكن الوصول إليها عن طريق الصفحة الرئيسية، وتتوفر فيها ترجمات لعدة مقالات باللغات الإنكليزية والفرنسية والألمانية.

http://revsoc.me

## فكرة

## 130 مليون امرأة!..!

كعنا ثلاث بنات في سنّ بعض. أنا وبننت عمي وبننت عمتي، مدبحة يعني وراجل جزّاز ماسك المشرط بننت عمي وبننت عمتي سبقوني، ورا بعض قطع لهم حتّة من جسيمهم، ولما جه دوري، فتحوالي لرجليا وهو رشلي بنج موضعي، ما حسيشش أه بالألم ساعتها، لكني حسيت بالسكينّة بتجز حتّة مني، لم أشعر بألم أيوه ولكني حسيت بحركة القطع وكأنها صوت باسمعه.»

هذا جزءٌ من شهادة هالة، امرأة مصرية تجاوزت الخمسين عاماً، نشرها موقع «انتفاضة المرأة في العالم العربي» في العام 2012، خلال الحملة الداعية إلى التعبير عن «لماذا الدعوة إلى انتفاضة المرأة؟». الأسبوع الفائت، وفي اليوم العلالي المناهضة الختان (5 شباط) صدر تقرير عن منظمة يونيسف ذكر أنّ أكثر من 130 مليون امرأة في 29 دولة في أفريقيا والشرق الأوسط تعرضن للختان. وتعريفاً، فالختان هو «أي عملية تتضمن إزالة جزئية أو كلية لأعضاء التناسلية الأنثوية من دون وجود سبب طبي».

جاءت الصومال وجيبوتي والسودان واليمن في أعلى لائحة البلدان التي لم تشهد أي تغيير ملحوظ في أعداد العمليّات في السنوات الماضية، بينما انخفضت نسبة النساء اللواتي خضعن للعملية في الجبل العاللي (15- 19 سنة)، بالمقارنة مع الأجيال الماضية (45- 49 سنة) في العراق وموريتانيا ومصر.

وبيضا يحظر الدستور الصومالي ختان الإناث، أشار تقرير يونيسف على تسجيل البلاد نسبة 98 في المئة من الفتيات اللواتي يقع عليهن. وتلعتها جيبوتي بنسبة 93 في المئة، ثم مصر 91، السودان 88، موريتانيا 69، اليمن 19 في المئة. وجاءت العراق في آخر اللائحة بنسبة 8 في المئة، وختان البنات في العراق محصور في إقليم كردستان، وفق هذا ما تشير اليه الدراسات.

ماذا ما يجري. القدرة الفعلية، الرادعة أو المحدّة، ما زالت ضعيفة الأثر.. في اليمن حققت الحملات المستمرة وقيام دار الإفتاء باحث على التوقف عن تلك الممارسة، انخاضا بسيطا في الأرقام. لكن مصر بقيت من البلدان المنكفة لنسب ممارسة ختان البنات، على الرغم من صدور قانون يجزّمه في العام 2008 ومحكمة طبيب بالسجن سنتين وبالإشغال الشاقة لقيامه بعمليات ختان.

معروف أن جذور القضية اجتماعية، أي هي موروث تقليدي يعود الى أيام الفراعنة مثلا، ويختلط بطريقة ملتبسة ببعد ديني يبدو ضعيف الأساس. وهذا ما يجعل مكافحة الختان صعبة. في مصر وقع نقاش حاد في العام 2008، بعد الفتوى التي صدرت عن شيخ الأزهر السابق محمد سيد طنطاوي، ومفتي مصر السابق علي جمعة، بتحريرم الختان باعتباره «عادة غير إسلامية وليس عبادة ولا يوجد في القرآن أو السنة ما يفرض على المسلمين ممارستها». تولّت جمعة علماء الأزهر مهمة التصدي له، مستنكرة ومنمّقة. ومشدّدة على شرعية إجراء الختان.

ويرصد كثيرون الفتوى الأخيرة الصادرة عن داعش في تموز الفائت، التي تدعو لختان كل النساء في العراق، ولا سيما نساء اللوصل ومحيطها، وذلك لإبعادهن «عن الفسق والرذيلة!» داعش لا يخرتج طالبا جمية علماء الزهر قالت قبله. فمن نصدق؟ وطالما أن لكل شيء تهرباً حتى ولو بلي عنق الآيات والأحاديث. وبإخراجها من لحظتها التاريخية ومن سياقها الطرفي والزمني، التسؤال الفعلي هو: ماذا نريد؟؟

**زينب ترحيني**

11.9 مليار دولار هو حجم الأموال الموريتانية المهربة إلى البنوك السويسرية وفق لإثحة سربرها مؤخرا موقع الإتحاد الدولي للصحافيين والإستقصائيين وبدأت صحف عالمية ينشرها. الفقر يسحق موريتانيا، ولتوطئة صلة بحيقان الفساد هؤلاء.

## هل أتك حديث السجون السياسية؟

عدم الوقوع في الأخطاء السابقة. ويؤكد ذلك تكرار حالة شكري مصطفى مع طبيب الأستان خالد مساعد، الذي أسس تنظيم «التوحيد والجهاد» في سيناء، الذي كان بمثابة النواة الأولى لجماعة «أنصار بيت المقدس» (بايعت «داعش» في تشرين الثاني/ نوفمبر 2014، وتحول اسمها إلى «ولاية سيناء» حالياً).

امتازت سيناء في الثمانينيات والتسعينيات من القرن الفائت باختفاء الأفكار الجهادية والتكفيرية، خلافاً لساائر محافظات وادي النيل التي شاعت فيها المواجهات بين قوات الأمن من جهة والإرهابيين من أعضاء جماعات «الجهاد» و «الجماعة الإسلامية» من جهة أخرى. لم يكن كلمة «الجهاد» في سيناء من مدلول سوى الحرب النظامية ضد إسرائيل، وتعاون الفدائيين من رجال سيناء والفدائيات من نساءها مع المخابرات الحربية المصرية في جمع المعلومات وتنفيذ العمليات ضد القوات الإسرائيلية أثناء الاحتلال. اقتصر وصف المخترطين في أعمال جهادية بهذا المعنى على «مجاهدي سيناء»، الذين أشهروا باسمهم جمعية أهلية مسلحة في وزارة الشؤون الاجتماعية (التضامن الاجتماعي لاحقاً). وكان أغلب هؤلاء المجهدين من الصوفييين أتباع الطريقة العلوية الدروقية الشاذلية. بخلاف هؤلاء الحاربين القدامى (المجاهدين الصوفييين). لم ينتشر من أفكار الإسلاميين في سيناء سوى فرع ضعيف تنظيمياً من جماعة الإخوان المسلمين، وأفكار الدعوة السلفية بالإسكندرية، التي نقلها إلى سيناء وادفون من وادي النيل أو عاشدون من الدراسة في الجامعات الحكومية من أبناء سيناء.

تم نقل ضابطين من جهاز أمن الدولة (الأمن الوطني حالياً) من صعيد مصر للخدمة في شمال سيناء الذي منتصف التسعينيات، فاستنسخا معهما الأسلوب الذي كانت تتبعه وزارة الداخلية في حينها مع المشتبه بهم في الصعيد. وفر الدعم الشعبي لأجهزة الدولة غطاءً اجتماعياً للأساليب الشرسة التي استخدمتها قوات الشرطة في الاعتقال أو الاحتضان الجماعي، لكن الأمر لم يكن كذلك في سيناء التي لم تشهد أية عملية إرهابية قبل 2004. توسع ضابط أمن الدولة الجديدين في اعتقال المشتبه بهم، وتمتعوا بتكديهم والضغط على أسرهم بتوزيعهم على السجون النائية حول الجمهورية واستمرار نكلمهم من أحدها إلى الأخر. وكان نتاج ذلك تعرف الشباب المبتدئين في الفكر السلفي على أساطين الفكر الجهادي والتكفيري من قادة الإرهابيين في السجون. وكان من بين هؤلاء الدكتور خالد مساعد، طبيب الأستان الشاب ذو الأصل البدوي، الذي عرف بدهونه ومسالته وعمله الدؤوب في إحدى الجمعيات الأهلية الخيرية في مدينة العريش.

خرج خالد مساعد من السجن محملاً بأشد الأفكار الإرهابية تطرفاً، وأسّس مع اثنين من رفاقه تنظيم «التوحيد والجهاد»، في الفترة بين عامي 2000 و2003. مستندين إلى الكتاب الشهير «العمدة في إعداد العدة»، لنظر تنظيم القاعدة السابق سيد إمام الشريفي. قام تنظيم «التوحيد والجهاد» بأولى العمليات الإرهابية التي عرفتها سيناء في تاريخها المعاصر، مستهدفاً المتجمعات السياحية التي يقصدها الإسرائيليون في توقيتات ذات دلالة وطنية مصرية: في 7 تشرين الأول/ أكتوبر 2004 (ذكرى انتصار 6 أكتوبر 1973)، وفي 23 تموز/ يوليو 2005 (ذكرى ثورة يوليو 1952)، وفي 24 نيسان/ أبريل 2006 (قبل يوم واحد من ذكرى تحرير سيناء من الاحتلال الإسرائيلي عام 1982). استهدفت التنظيم متجمعات سياحية على خليج العقبة في جنوب سيناء، في



اسماعيل فتاح - العراق

مصر. وهنا، بدأ الهروب العكسي للتكفيريين من غزة إلى المنطقة الحدودية من شمال سيناء، وفي الوقت الذي ظنت فيه السلطات المصرية أنها قضت تماماً على الخطر الإيديولوجي المسلح في سيناء، كانت جماعة «أنصار بيت المقدس» تتشكل من بقايا «التوحيد والجهاد» (غيّر اسمه قبيل مقتل مؤسسها إلى «القاعدة والجهاد») مستفيدة من خبرات قتالية وأمنية متقدمة حصل عليها الأفراد العربون إلى غزة ممن حضروا الحرب في (2008 — 2009). في صيف 2010، تم استهداف خط الغاز الطبيعي المصدر إلى الأردن وإسرائيل في أول عملية للتنظيم الأنفاقي. لم يذهب العربون بعيداً نحو وسط القطاع أو شماله، بل بقوا في جنوبه قريباً من عائلاتهم، أي في رفح الفلسطينية معقل الجهاديين التكفيريين. في 2009، تصاعدت الأزمة بين حكومة حماس المسيطرة على القطاع وبين التكفيريين في رفح بقيادة عبد اللطيف موسى، وانتهت بمقتل الأخير وعدد من أتباعه داخل مسجد ابن تيمية القريب من الشريط الحدودي مع

طابا ونويبع، وشرم الشيخ، وذهب، على الترتيب. أسفرت الاعتداءات عن مقتل أكثر من 130 مصريا وأجنبيا وإصابة أكثر من 300 شخص، واعتمد المهاجمون على السيارات المفخخة والعبوات السائفة.

قتل خالد مساعد واثنان من قادة التنظيم في مواجهات مع الشرطة في شمال سيناء في آب/ أغسطس 2005. ونجحت القبضة الأمنية الحديدية في القضاء مؤقتاً على خطورة التنظيم الذي تفكك وتشظى من بقي من أفرادها، فتوزعوا بين الكمون في القرى النائية في المنطقة الحدودية من شمال سيناء أو الهروب إلى غزة عبر الأنفاق. لم يذهب العربون بعيداً نحو وسط القطاع أو شماله، بل بقوا في جنوبه قريباً من عائلاتهم، أي في رفح الفلسطينية معقل الجهاديين التكفيريين.

في 2009، تصاعدت الأزمة بين حكومة حماس المسيطرة على القطاع وبين التكفيريين في رفح بقيادة عبد اللطيف موسى، وانتهت بمقتل الأخير وعدد من أتباعه داخل مسجد ابن تيمية القريب من الشريط الحدودي مع

نجح مراجعات «الجهاد» و«الجماعة الإسلامية» على النقيض من التجريبتين سالفتي الذكر، فإن أسلوب التعامل مع قادة «الجماعة الإسلامية المصرية» وجماعة

لا يُعدّ ما يمارس اليوم في مصر، من حيث التوسع في الاعتقال أو التنكيل بالمعتقلين، جديداً على الإسلاميين. يمكن القول بأن الفكر التكفيري نشأ في مصر تحت وطأة التعذيب الشديد في السجون المصرية، حين نكّل بالإخوان المسلمين وبكل مشتبته بقربه منهم في ستينيات القرن الفائت. وكان أحد أشهر مواقع التعذيب آنذاك «السجن الحربي» في شرق القاهرة (هدم لاحقاً)، ويقع بالقرب منه ميدان رابعة العدوية حيث وقعت المجزرة. دفعت الضغوط النفسية التي كانت تمارسها سلطات السجون المعتقلين للاعتقاد بأن مثل هذه الإهانات لأفكارهم «الإسلامية» لا تصدر إلا من كافر بالإسلام. فماذا يعني هذا في الحاضر والمستقبل القريب؟

من «التكفير والهجرة» إلى «التوحيد والجهاد» نجم عن هذه الفترة تحولان محوريان. التحول الأول كان عميقاً وامتد الأثر في كتابات سيد قطب، الذي كان أدبياً ومؤيداً لثورة يوليو 1952، ثم ما لبثت كتاباته أن تحولت عن الفكر الإسلامي السالم على الرغم من تشدده، إلى التطرف في التنظير لتكفير المجتمع ووصفه بالجاهلية والدعوة للعزلة الشعبية عنه. أعاد سيد قطب كتابة تفسير بعض سور القرآن في كتابه الضخم الشهير «في ظلال القرآن»، في مستشفى السجن عقب اعتقاله الأول عام 1954، وختم حياته بكتاب «معالم في الطريق» الذي يعد مرجعاً لا يزال مؤثراً في تشكيل الفكر الجهاديين حول العالم بعد نصف قرن من إعدامه في صيف 1966.

أما التحول الثاني فكان مداه أقصر زمنياً وأقل عمقاً، لكنه أشد تطرفاً في الفكر والممارسة، وعلامة فارقة في تاريخ الحركات الإسلامية في النصف الثاني من القرن العشرين. ففي سجون الستينيات، ظهر المدعو شكري مصطفى أمير «جماعة المسلمين» التي أطلقت عليها وسائل الإعلام «جماعة التكفير والهجرة»، خلفاً لمؤسسها علي إسماعيل، الذي تراجع عن أفكاره لاحقاً. كان الشيخ علي إسماعيل قد أسس الجماعة بإطار من الاستبداد الشرعي على أفكاره تحت صدمة إعدام أخيه، عبد الفتاح إسماعيل، مع سيد قطب وأربعة آخرين. تراجع علي إسماعيل عن اندفاعه في التكفير، لكن شكري مصطفى كان شاباً حديث السن قليل الحظ من العلم الشرعي، وقد صنفته ظروف السجن قائداً لما صار بعد خروجه منه تنظيمياً سرياً شديد التطرف والعنف. تم تورط في اغتيال شخصيات إسلامية كبيرة، كالشيخ محمد الذهبي وزير الأوقاف المصري. انتهى أمره بإعدام سنة 1978، بعد أن ترك بصمة حركية قوية في ميل الجماعات التكفيرية للعزلة الاجتماعية، والبحث عن نطاق جغرافي يكون تحت سيطرتهم الكاملة. فبقيت النزعة التكفيرية والميل للانزوال المكاني، من دون تنظير متماسك كالذي قدمه سيد قطب، والزتوت أفكارهم التي بلغت درجة تكفير أئمة الفسريين وأغلب علماء قرون صدر الإسلام.

على الرغم من إدراك السلطات المصرية لاحقاً لحقيقة ظهور الفكر القبلي والجماعة التكفيرية الأبرز بسبب الأخطاء المرتكبة في السجون، إلا أن ذلك لم يستفد منه بشكل مؤسسي، ولم يستخلص منه ما يمكن وصفه بقواعد عامة أو خطوط سياسية التعامل مع الإسلاميين داخل السجون. صحيح أن إستراتيجية الاستمرار في فترة سجن الإسلاميين قد تطورت لاحقاً بما يتجاو حالة نجاح في مراجعات جماعتي «الجهاد» و «الجماعة الإسلامية»، إلا أن الأمر لم يتجاوز تجريب طريقة جديدة من دون الانتباه إلى

## أناشيد حركة حماس

تطورت حماس من حركة على صلة بالإخوان المسلمين، منغلقة على نفسها، إلى حركة وطنية فلسطينية مقاومة ذات شعبية متزايدة في كل النصف الغربية وقطاع غزة. من الأسباب الأساسية لتنامي الشعبية تلك هو أدائها العسكري القاروم وهذا توقفه وتواكبه الانشيد... لعلنا كانت الأناشيد الوطنية أداة لتعبئة الشعب الفلسطيني ولاستلها مبادئ التحرر والنضال. وفي حالة حماس، هي وسيلة أيضاً لإدخال «مفردات إسلامية» إلى الأناشيد التي تستعاد وتردد.

### أناشيد حماس في الانتفاضة الأولى: المد الثوري

الأناشيد «الإسلامية» ابتدأت مع انخراط حماس في العمل السياسي. ومع أول أنشودة أداها السوري ابو راتب، الذي كان يصاحبه بالخلفية الضرب على الدف، في أغنية «ثوري ثوري ثوري»، وابتكث الأغنية الانتفاضة الأولى. ويقال أن كلماتها تعود إلى الشاعر الليبي علي الكيلاني. الكلمات كانت تثير مشاعر حماسية الشباب في الانتفاضة الأولى لقفد مزيد من الحجارة على المحتلين، وكانت كلماتها تردد: «ثوري، ثوري، ثوري، هي هيهي، في غزة وبلاطة، بالقدس ورام الله، ثرنا بانطلاقة، كبرنا باسم الله، نتحدى بقراتنا، ثابرين أحرارنا، ثابرين صفاراتنا، ما بتعود ديارنا، ما بيغسل عارنا إلا الدم والحجارة». وتعد هذه الأغنية من الاغاني التراثية الوطنية الفلسطينية والتي يوجد منها نسخة أخرى بالكلمات نفسها ولكن مع موسيقى طربية بدلا من الدف فقط. في نسختها الأصلية، تم

هنا السيوف مشرعات واللهب. تقدم، يلحلق العارم... يذكر بأن المنشد هو رمزي العك من مخيم عابدة قرب بيت لحم وهو أحد الأسرى المحررين في صفقة شاليط، والذي رُحّل إلى غزة.

أما بعد حرب 2014، وتيمنا أيضا بأسلوب حزب الله، فاطلقت حركة حماس أنشودة «علوا رايات النصر»، أنشودة/أغنية بموسيقى طربية مغناة مع زغاريد بالخلفية تبشر الفلسطينيين بالنصر ومغناة بالمحكية الفلسطينية وباللمحة الغزاوية من قبل فرقة الوعد الإسلامي. انعكس إذًا تطور الأداء العسكري والشعبي لحماس على أسلوب الخطابية والأناشيد التي تطلقها الحركة وتبثها على قنواتها، وانتشار تلك الأناشيد بشكل كبير في أيام الحرب الأخيرة يعني أن الناس يحتاجون لسماع تلك الأغاني في تلك الظروف وفي الأحداث الوطنية العامة، واللافت أن ساائر الفصائل والأحزاب الفلسطينية قد توقفت عن إنتاج الأناشيد الحماسية، ويمكن الانتباه إلى أن حماس عممت خطابها عبر تلك الأناشيد والأغاني، كما فعلت فتح والجبهتان الشعبية والديموقراطية قبلها.

وبالميلج، لا تكفي الأناشيد، ولا حتى الإنجازات العسكرية نفسها لحصد الشعبية وترسيخها.هناك اشتغال ضروري على الثقافة السياسية الفلسطينية باتجاه إبراز القيم المناضلة، وضد الميوعة والاستهلاكية معاً.

### ياسمين صالح

باحثة من فلسطين

إلى كونها امتداداً لأناشيد حماس (نماذج فردية للمقاومة من خلال مثال الحجر في الانتفاضة الأولى والاستشهاديين في الانتفاضة الثانية)، كما أنها تحكي بأسلوب غنائي ما يميز العمل الفردي المقاوم للاستشهاديات، بقصة شخصية دعت كل واحدة منهن إلى الدفاع عن الأقصى. قبايات الأخرس مثلاً كانت في وصيتها الموصورة لتردي الكوفية السوداء والبيضاء وكانت على شكل الرزاق، فيعملتها الاستشهادية أصبح «دمها هو حنة العريس».

### الأداء العسكري بعد حرب 2008 - 2009

بعد حرب 2008 - 2009 نشرت كتائب القسام أنشودة هنا أعدنا لكم التي تعد تطوراً في طبيعة أناشيد الحركة، وأيضاً خطوة أخرى في طريق مجارة الأسلوب الموسيقي والإنشاد الراج، حيث استخدمت الحركة لأول مرة أسلوب «الفيديو كليب»، أطلق هذا الفيديو في مهرجان كتائب القسام في 2013، ولم تنتشر الأنشودة وتصيح مشهورة في الضفة الغربية إلا خلال الحرب الأخيرة (صيف 2014)، نلاحظ هنا تأثيراً كبيراً بأناشيد حزب الله الذي كان سابقاً في استعراض إنجازاته العسكرية وعملياته التاجحة وبأس وقوة وصلاية مقاتليه على وقع موسيقى وأناشيد حماسية/عسكرية. نرى أن ثقة حماس بانجازاتها وبصمود الشعب الفلسطيني أتاحت لها مخاطبة العدو الإسرائيلي بتعديده بعدم الاقتراب من الأنفاق خوفاً من الأسر لدى المقاومة: «هنا ميادين البطولة والغضب...»

## تعليمات بالجنون

أدخلوهم في قفص حديدي وأطلقوا عليهم غازاً وضربوا عليهم ناراً. وعندما ماتوا اتهموا الموتى. قالوا إن الموتى لم يحملوا تذاكر للمباراة، فرقع عائلات الموتى صور تذاكرهم، وقالوا إنهم اشتروا التذاكر. ولكن التذاكر لم تحم أحداً من الموت. التذاكر ملوثة بالدم وملقاة بجانب الجثث.

كان صعباً عليهم إنكار الدم الذي سال على أيدي داخليتهم، لم يكن هناك زهدي الشامي ليتموه بأنه



الصحايا بأنهم القتلة. افقد عقلك.

لا تقل شيئاً معقولاً. الأشياء المعقولة خطر على الدولة. نحن نمر بظروف عصيبة. واجب الوطني في هذه المرحلة أن تفقد عقلك ما رأيك في انتقام فيروس الأنفلونزا بقتل المشجعين؟ الناس سيهتمونك بالجنون؟ لا يهم. تضحية بسيطة من أجل مصر. تهايم معنا هناك رابط مقدس بين الدولة والشعب. والدولة الآن هي حفنة من المجانين. عليك بأن تجن مثلهم.. أم أنك ضد الدولة؟

51 من أصل 74 لاجئاً سوريا وفلسطينياً - سوريا محتجزون في قسم شرطة «كرموز» في الإسكندرية، بدأوا إضراباً عن الطعام، يشاركون فيه لاجئ صومالي محتجز في قسم الشرطة نفسه منذ شهر آب/أغسطس الماضي.



حلم..

فريد بلكاھية / المغرب

## غرباء القرية المغربية يقبلون نمط الإنتاج الطماطم أكثر تأثيراً من الحكومة والبرلمان

فيها ثمن الأرض عشر مرات، يريد المستثمرون استرجاع رأسمالهم أولاً. وبما أن التمويل المرتفع عامل جد مؤثر، فإن الرأسمال الوافد يغير نمط الإنتاج الفلاحي، ينقله من المعاش إلى التسويق. ولذلك فالغريب في عرف المستثمرين يد عاملة جيدة، أفضل من يد «الأصلاء». ينظر المستثمرون إلى أيدي الفقراء لا إلى وجوههم.

هكذا فإن غرباء القرية يقبلون نمط الإنتاج. ففي حقلين متجاورين، نجد أن حفل الغريب منظم وعصري. لأن المستثمر الوافد يملك عقلية تجارية وخبرة كبيرة وشبكة علاقات ووسائل نقل للوصول للسوق.. بينما يواجه حفل «ابن البلدة» صعوبات بسبب ضعف التمويل والعقبة المعاشية. ويجد فلاحو المنطقة صعوبة في تغيير

طريقة تفكيرهم لمجاعة جيرانهم الجدد. غالباً ما يخطط الوافدون لشراء حقول جديدة متعززة. وبهذا تؤكد الأساليب الإنتاجية في الفلاحة أن البقاء لنمط الإنتاج الأخطأ. يتغير نمط الإنتاج تبعاً للتعامل مع البئر، والبئر هي كلمة السر في زراعة الخضار في المغرب. سابقاً كان الماء يُستخرج بخواصير تديرها الحميمير. يجري حفر البئر بالأس والرفش دون بناء جوانبه لذا يُقتل حافريه في حالات كثيرة. الخطير في الأمر أن الضحايا ليس لديهم أي تأمين. وليست هذه الحوادث معزولة. فالكثير من العمال والفلاحين المغاربة يعملون في ظروف خطيرة دون أي تأمين أو تغطية صحية، يواجهون مخاطر الأسمدة المسمومة معزولين. قد يموتون دون أن تعرفهم النقابات، يجري هذا رغم تضخم الخطاب الشفوي حول العالم القروي لدى السياسيين المغاربة. فلا يمر يوم دون أن نتحدث التلفرة الرسمية عن العالم القروي. لكن وحده ثمن الطماطم يؤثر في حياة الفلاحين. ولا تستطيع الحكومة ولا البرلمان التأثير في ثمن الطماطم.

بعد الناعورة، بدأ في ثمانينيات القرن الماضي استخدام مضخات تعمل بالبترول. وهي مكلفة وتعرض للأعطاب. وحالياً تعمل المضخات بالكهرباء ويجري السقي بالتقطير، وغالباً ما يتم زرع ثلاثة محاصيل. أثر هذا التحول في مناطق مغربية كثيرة، فقد انتشر السقي، خاصة سقي الخضار في المناطق المحيطة بالمدن ذات الكثافة السكانية المرتفعة والتي تشكل سوقاً مهماً. وبذلك عوض الفلاحون خسائر الجفاف والانهيارات المتتالية في إنتاج الحبوب.

المغرب مستقر سياسياً، وينافس اقتصادياً بفضل جهود الفلاحين لا بفضل خطابات البرلمانيين. في 2013، ارتفع إنتاج الخضار والبزيتون برقمين لأن الظروف المناخية جد ملائمة وتقلل الكلفة وهذا يجلب التمويل. مؤخرًا

تجلس العجوز أمام باب بيتها الذي يوجد في مفترق طرق مرتبة وسط القرية. تراقب المارة، تستمتع بأشعة الشمس وقد تراجع البرد وكثرت الخضرة. تغير المشهد بفضل مطر كثيف أحيا الأبار. تشتكي العجوز من أن الغريب هجموا على قريتها. تتمتع حين تراهم يمررون حولها. لا يحظى الغريب بالترحيب. تردد أن الغريب لا يشبهوننا، وهم يعرفون نظرات العداوة. ويدركون معاني الكلمات التي تقال في حقهم عن طريق مراقبة شفاة المتحدثين من بعيد. يضحك من يسمع كلام العجوز. وهي تقول بوضوح ما يقوله الآخرون بشكل ملتو. لا يصل كلامها لوسائل الإعلام. وعلى كل حال يسهل تجاهل عدم التسامح حين يصدر عن أميين.

يصل «الغريب» بوجود كالحكة وثياب رثة، قادمين من مناطق المغرب العميق الجافة. وبعد أشهر تصفو وجوههم وتتغير ثيابهم. لكن موقف العجوز لا يتغير، فهي تعتبر أن سكان القرية «الأصلاء» أشرف وأغنى من غيرهم. وهم أصلاء يفضل مكان ميلادهم وتجانسهم القبلي حتى أن للكثيرين الاسم العائلي نفسه.. بينما للغرباء ألقاب غريبة مثلهم. القاب تشير السخرية.

العجوز وغيرها يتكلمون وبسكان القرية يتزايدون بشكل سريع. وهم يقسمون بالنسبة للعجوز إلى أقارب وغرباء. والغريب نوعان، فقراء وأغنياء. يأتي الفقراء للعمل في المزارع العصرية التي تتشكل حول القرية. يعملون في مهن لا تتطلب مهارات كبيرة، يفضلون هجر مناطقهم الفاحلة والجبيلة نحو السهول الخصبة التي توفر العمل. حسب وزارة الفلاحة، توفر زراعة الخضار عشرين مليون يوم عمل في السنة. عمال فلاحيون موسميون ينحطون عميقاً في البؤس مع تقدمهم في العمر وترهل عضلاتهم التي يجنون بها البطاطس والطماطم.

الأغنياء قلة دائماً، وهم يمررون في سيارات كبيرة مسرعة. ويلقبون هنا «التماريين»، نسبة إلى منطقة «تمارة» التي كانت حقلاً وصارت مدينة، وهي تقع جنوب مدينة الرباط. لسنين طويلة، كانت المنطقة بين الرباط والدار البيضاء مزارع للخضار. كان المشهد من نافذة القطار عبارة عن لوحة خضراء متصلة. لكن خلال العشر سنوات الأخيرة تغير ضمنون اللوحة. صارت المنطقة غابة عمارات. فقد باع الفلاحون هناك أرضهم بعشرات الملايين لكنهم لم يتخلوا عن الفلاحة، بل صاروا يشترون أراضي شرق الرباط في منطقة «تيفلت» التي تبعد عن العاصمة ستين كيلومتراً. هكذا جرى ترحيل المزارع إلى قري جديدة فتضاعف

المزيد على موقع «السفير العربي»

- درندشة عن النفط، السعودية وأميركا - رامي خريس  
- العامل الديني يتصدر حياة الأقليات أيضاً في سوريا - أمين الشوقي  
- الجامعة المصرية 2015: من هنا يبدأ واقع سياسي جديد - منى سليم  
- تابعونا على «فايسبوك»: السفير العربي - Assafir Arabi  
- تواصلوا معنا على «تويتر»: @ArabiAssafir

arabi.assafir.com

.. بألف كلمة

## متضامنون مع فلسطين - سيرة أناس عاديين



لقد هربت من الحرب في بلدي سيراليون. وصلت هولندا بعد عذابات، واقتسمت هومي وخبزي مع قاسم من غرة، دائماً أفكر بغزة وبما حل بصديقي .. هل هو حي؟ (إبراهيم - سيراليون)



منذ أشهر وأنا أسافر مع كلبتي. أنا أعرف أن يوماً ما ستنتصر العدالة، يوماً ما ساتي لزيارتكم في فلسطين وسأغني لحريتكيم (ماركو مايوليكا - نابولي)

### مدونات

### النقد من منطلق وطني في اليمن

منذ شهر والحوثيون يظهرن ضعيفي الحساسية حيال التعقيدات في المجال الوطني، وبخاصة جروح وذاكرة اليمنيين الآخرين. وحدهم الضحايا، وحدهم النوار، وحدهم الأتقياء والمتفوقون أخلاقياً. هذه الروحية الطهرانية لها مفاعيلها العنيفة في الخطاب والسلوك، من ذلك تلك الحساسية المفرطة حيال أي نقد أو ممانعة لهم، والتي تدفعهم إلى وضع كل ما هو آخر في خانة المتأمرين (...).  
نقد الحوثيين الآن ضرورة لأن سلوكه في اللحظة الراهنة هو ما سيقدر، بشكل رئيسي، مصير اليمن. فتشظى اليمن أو شطره تصفين أو أثلاث أو أسداس هو المتصور في ظل استمرار الخط العام للجماعة صعوداً في العاصمة وانحداراً خارجها. حساسية الحوثيين المزوجة، حيال الآخر المشيطن وحيال أي نقد يلامس سلوكهم العنفي وخطابهم الإقصائي، كارثية في آثارها على اليمن. ويجب على الدوام رفع نبرة النقد المركّز على الوطنية والمدنية، ورفض الزعيق باسم النقد انطلاقاً من أية عصبوية مقابلة.  
قد يفرضهم ما نكتب، زملائي وأنا، وقد يتعمد بعض منظريهم التشويش على آرائنا وإدراجها في سياق المؤامرة، لكن ذلك لن يثني الناقد من متابعة أداء رسالتهم.

عن صفحة سامي غالب Sami Ghaleb على فايسبوك

### الماتش: لما المذبحة؟

من بداية اليوم والعاصمة كانت تحتفل بماتش الزمالك، وأتوبيسات جماهير الزمالك من كل المحافظات. الأجواء كانت سعيدة وحماسية جداً.. وكان فيه أطفال كثير، وكذا ست حامل، وكان فيه كذا شاب متواجدين بكرسي بمجل.. الفرحة كانت كبيرة ومكش فيه أعلى من صوت الأغانى.  
العدد كان حوالي 10 آلاف، ما بين جوا المر وبراه، والمر عرضه 6 متر وطوله 50 متراً، وكان زحمة جداً، ومكش فيه أي سبب يخلي الناس تعلق من الزحمة، عشان مكش فيه حد ناوي على حاجة من الجماهير، ومكش فيه أي توقع لأي غدر من الداخلية - الاستاد ده الفروض منشأة عسكرية واللى بيأمنه جيش طول الوقت، وخلال 4 ساعات محدش شاف عسكري جيش زي العادة - الناس فضلت تغني عشان تدخل، يعدين الداخلية قررت تدخل الجماهير من خلال قفص حديدي في سابقة جديدة على مدرجات مصر. بدون سابق إنذار، الداخلية ضربت قبيلتين، الناس وقتت تستفهم ده فض والا تهويش زي آخر كام مرة.. في الوقت ده الغاز زاد جداً وبدأ الخرطوش، الضرب كان ع الناس اللي في القفص والمر، فالتناس بدأت ترجع، محاولات الجري كانت مستحيلة، والناس بتحاول تتفادي تدوس على بعض، واللى كان يقدر يشيل حد كان يشيله، بس اللي حصل كان حصل في ثواني.

عن صفحة أحمد البحر Ahmed El Bahar على فايسبوك

### رائحة غاز

أزمات النقص في المواد التي عايشناها على فترات متباعدة، سواء كانت أخطاء أو محاولة استغلال تجاري من شركات أو موردين، يفترض أننا وضعنا احتمال تكرارها خلفنا، لكن يبدو أن هذا من «الأحلام». أزمة الغاز وصلت إلى الرياض، والصحف تنشر منذ أيام عنها، ويبدو أنها في تزايد..  
لا يمكن قبول التجارب الإدارية في شركات معنية بمواد استراتيجية يحتاجها الناس يومياً، كما لا يجوز الصمت عن ذلك. يفترض بوزارة التجارة استقبال بلاغات ليست عن برقع السعر فقط، بل عن لا يتوافر لديه مخزون من البراميل. ما الذي يجعلنا نصدق أنه ليس وراء الأمر تحجيف للسوق واستغلال سوء إدارة شركة أو صراع داخلها؟ قبل سنوات كانت هناك تجربة في حديد التسليح، تم تحجيف السوق واكتشفت مخزونات ضخمة في مستودعات لتجار «من الطيبين». كل الاحتمالات واردة، إلا أنه من المهم، خصوصاً في الشركات التي لخدماتها مساس مباشر بحاجات المواطن، وكقاعدة عامة، ألا يتم التعيين أو الترشيح في مجالس الإدارات للمعارف والأحباب أو ترضية لسؤول تقاعد. نعم هي شركات مساهمة ولها جمعيات عمومية، لكن ما تقدمه يعني القاعدة العريضة من المواطنين، ويؤثر عليهم في معيشتهم.

من مدونة «عبد العزيز بن أحمد السويد» السعودية (الأحد 8 شباط/فبراير 2015) http://www.asuwayed.com